فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطا الخلق فالكثير من عطا
الخالق خير وقوله تعالى وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه والمازيف سبحانه
وتعالى طريقة القوم ابتغاها نصيحة ما جابه الرسول بقوله تعالى وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه
يوجب اتهامهم له كما تشهد له بذلك العقول الصحيحة فمن سلكه اوصله
الى الغرض فحاز كل شرف نتيجته قد الزمهم الله تعالى الحجة في هذه الايات
وقطع معاذيرهم وعللهم فان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله
مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم
وانه لم يعترض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل
له سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الى دين
الا الاسلام الذي هو الصراط المستقيم الا مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو
اخلالهم بالتدبر والتامل من غير برهان وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
اي بالبعث والثواب والعقاب عن الصراط اي الذي لا صراط غيره
لانه لا موصل الى المقصد غيره لناكبون اي عادلون منحرفون في سائر احوالهم
على غير منهج اصلا بل خبط عشوى ولو رحمناهم اي عاملناهم معاملة
المرحوم في ازالة ضروره وهو معنى قوله تعالى وكشفنا ما بهم من ضر
اي جوع اصابهم بمكة سبع سنين للجوا اي عادوا وتمادوا في طغيانهم الذي
كانوا عليه قبل هذا يعمهون اي يترددون ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين كسني يوسف
فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد
قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فقد اكلوا القد والعلهز والعظام وشكا
اليه الضر فادع الله يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل
الله تعالى هذه الاية نتيجة العلهز وبر يخلط بدماء اللحم الحلم فيوكل
في الجدب والعهن ايضا القراد الضخم وشكا بعض الاعراب الى النبي صلى الله عليه
وسلم السنة فقال ولا شيء مما ياكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي
والعلهز الفسل وليس لنا الا اليك فرارنا واين فرار الناس الا الى
الرسل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستسقى برفع هذه المحن
فالله تعالى عنهم فما استكانوا اي خضعوا اخضعوا ما هو كالجبلة
لهم واصله طلب السكون لربهم اي المحسن اليهم عقب المحنة
وما يتضرعون اي يجددون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع في كل
وقت بحيث يكون لهم عادة بل هم على ما جبلوا عليه من الاستكبار
والعلو حتى اذا فتحنا عليهم بابا اي عذاب صاحب عذاب شديد

قال ابن عباس

٢٣٣

قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو
قيام الساعة اذا هم فيه اي ذلك الباب مطروحون لا يقدرون منه على نوع
خلاص مبلسون متحيرون ايسون من كل خير ثم انه سبحانه التفت الى خطابهم
وبين عظيم نعمه من وجوه احدها ما ذكره بقوله تعالى وهو الذي انشا اي خلق
لكم يا من يكذب بالاخرة السمع بمعنى الاسماع والابصار على غير مثال سبق
لتحسنوا بها ما نصب من الايات والافئدة اي التي هي مراكز العقول فتتفكروا
في الايات وتستدلوا بها على الوحدانية فتكونوا بها اعلا من بقية الحيوان
مع فواد وهو القلب وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية ما لم يتعلق بغيرها فمن لم يتفكر فيما خلقت له فهو بمنزلة
عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله ولما صدر عنهم هذه النعم وهي بحيث لا يشك
عاقل في انه لو تصور ان يعطي ادمي شيا منها لم يقدر على مكافاته حسن تبكيتهم
وكفر النعم فقال قليلا ما تشكرون لمن ولاكم هذه النعم التي لا يقدر غيره
على شيء منها مع ادعائكم انكم اشكر الناس لمن اسدى اليكم اقل ما يكون من النعم
التي يقدر على مثلها كل احد فكنتم بذلك من الحيوانات العجم صما بكما عميا قال
ابو مسلم ليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد النعمة
ما اقل شكر فلان ثانيها ما ذكره في قوله تعالى وهو اي وحده الذي ذراكم
اي خلقكم وبثكم في الارض للتناسل واليه وحده تحشرون يوم النشور
ثالثها ما ذكره بقوله تعالى وهو اي وحده الذي من شانه انه يحيي ويميت
فلا مانع له من البعث ولا غيره مما يريد رابعها ما ذكره بقوله تعالى وله اختلاف
الليل والنهار اي التصرف فيهما بالسواد والبياض والزيادة والنقصان
افلا تعقلون اي بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات
كلها وان البعث من جملتها فتعتبرون ولما كان معنى الاستفهام الانكاري
النفي حسن بعده قوله تعالى انهم قالوا بل قالوا اي هولاء العرب مثل
ما قال الاولون من قوم نوح ومن بعدهم فقالوا ذلك تقليدا للاولين
ثم حكى الشبهة عنهم من وجهين احدهما ما ذكره بقوله تعالى قالوا اي منكرين
للبعث اي متعجبين من امره اءذا متنا وكنا اي بالبلى بعد الموت ترابا
وعظاما نخرة ثم اكدوا الانكار بقولهم ءانا لمبعوثون اي لمحشورون
بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم يتاملوا انهم قبل ذلك ايضا لم يكونوا فخلقوا
ثانيهما ما ذكره بقوله تعالى انهم قالوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث
بعد الموت من قبل كانهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه صلى الله عليه
وسلم فقد وقع قديما من سائر الانبياء ولم يوجد مع طول العهد وظنوا ان
الاعادة تكون في دار الدنيا ثم قالوا ان اي ما هذا الا اساطير اي الاكاذيب

Copyright King Saud University